نصَّان جديدان في الأدب الدِّيني لموريسكيي الأندلس
بعد تسليم غرناطة 897 - 1018هـ / 1492 - 1609م
"دراسة وتحليل"

الأستاذ المساعد الدُّكتور

قصيِّ عدنان سعيد الحسينيِّ

الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب

قسم اللُّغة العربيَّة

نصَّان جديدان في الأدب الدِّيني لموريسكيي الأندلس

بعد تسليم غرناطة 897 - 1018هـ / 1492 - 1609م

"دراسة وتحليل"

الملخص باللغة العربيَّة

يعدُّ العثور على نصوص موريسكية مكتوبة باللغة العربيَّة فتحاً جديداً في مضمار الدِّراسات الموريسكية عموماً (أدبية أو تاريخية)، حيث إنَّ أغلب المتون المخطوطة في التُّراث الموريسكي ، ومنها الأدب الَّتي تمَّ تحقيقها قد كُتِبت بـ"لغة الألخميادو"، إنَّ هذين النَّصَّين من أدب الدُّعاء، قد كُتِبا بخط مغربي غريب في شكله، كان قد عُثِر عليهما في أحد ملفات ديوان محاكم التَّفتيش ، والدُّعاء يمثل حالة وجدانيَّة راقية في كلِّ الدِّيانات ـ الإلهية أو الوضعية ـ وكان الموريسكيون قد استغرقوا كثيراً في موضوعة (الدُّعاء)، بسبب وضعهم الحرج مع ممارسات "ديوان محاكم التَّفتيش" الوحشية؛ وتفرُّق الدُّول الإسلامية عن نجدتهم؛ كلُّ ذلك كان مدعاة لفزعهم إلى "الدُّعاء" كمخلصٍ لهم من حاميَّة الوضع المأساوي الَّذي يعيشونه! وقد تفرَّد الرَّاهب الإسباني "بدرو لونغاس" في كتابه الَّذي ألّفه في "حياة الموريسكيين الدِّينية" سرد فيه الحياة الدِّينية للموريسكيين، وفي هذين النَّصَّين من أدب الدُّعاء، كان الأوَّل في : "في فضل وداع شهر رمضان"، وقاد سرد الحوار النَّبي الأكرم "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم" مع ابنته "فاطمة الزهراء"، وزوجها عليّ بن أبي طالب "رضوان الله عليهم"، والدُّعاء الثَّاني : هو "دعاء التَّهليل"، وهو عبارة عن جملة الآيات القرآنية الشريفة الَّتي توشَّحت بعبارة "لا إله لَّا الله"، ويوصي رسول الله "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، بأن يتعلم جميع المسلمين هذا الدُّعاء؛ لِما فيه من جزيل الثواب، وقد حقَّق هذين الدُّعائين العلَّامة الدُّكتور عبد الجليل التَّميمي، وتركَّز عملي على تصحيح سائر الأخطاء الَّتي وقع بها ناسخ المخطوطة الموريسكية، وتحليل النَّصِّ ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

الملخص باللغة الإنجليزيَّة

Two New Texts in the Religious Literature of Al Andalusia

Muraskese After the S

urrender of Granada 1606 - 1492 / 1018 - 897 A.H. : Study and Analysis

Finding new Muraski texts written in Arabic language is considered a new development in the course of the general Muraski studies whether literary or historical. Simply because the majority of the written texts including the literary ones of this heritage have been written in the language of Alchemy. These texts are from prayer literature written in a strange Moroccan font. These were found in one file of the inspection courts.

Prayer represents an emotional sophisticated case in all religions, whether godly or manly submitted. People there engross greatly in this subject because of their critical situation due to the brutal practices of the inspection courts divan. This is in addition to the defection of other Islamic countries from supporting them. For these reasons, prayers were the only refuge for them to save them from the miserable situation they were in. In his book, *The Religious Life of Muraskese*, the Spanish Pedro Lungas has singularly relate the religious life of Muraskese.

These two texts are of prayer literature, the first deals with the advantages of Ramadan farewell. In which the Prophet Mohammed (God's Blessings and Peace Be Upon Him and His Family) led the conversation with his daughter (Fatimah Al Zahraa) and her husband (Ali Abin Abi Talib), may peace and blessings be upon them. The second prayer is called "Al Tahlil

Prayer". It is a total of all the wholly Quraniq verses that interlard with the phrase "no god but Allah". The Prophet Mohammed (God's Blessings and Peace Be Upon Him and His Family) exhorted all Muslims to learn this prayer for the great recompense it has. These two prayers have been worked out by the scholar Abdul Jalil Al Temimi (Ph.d).

The present paper aims at correcting the other mistakes made by the copyist of the Muraski script as well as analyzing the text as much as possible.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على خاتم المرسلين محمَد بن عبد الله، وعلى آله الطَّيبيين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، وسلَّم تسليما كثيراً.

إنَّ الحفر في الذَّاكرة "الموريسكية"(1) لأواخر مسلمي الأندلس بعد تسليم مملكة غرناطة 897هـ - 1492م، وانتهاء الحكم السِّياسي في الفضاء الأندلسي، لهي المشقَّة بعينها؛ لنُدرة النُّصوص الأدبيَّة الموريسكية من جهة ، ومن جهة أُخرى قِلَّة ما يُترجم منها إلى اللُّغة العربيَّة، بعد تحقيقها عن المخطوطات الموريسكيّة في أسبانية.

إنَّ هذين النَّصَّين من أدب الدُّعاء، قد كُتِبا (بخط مغربي غريب في شكله، كان قد عُثِر عليه . . . في أحد ملفات محاكم التَّفتيش)(2)، ويُشيد د.عبد الجليل التَّميمي شاكراً بالمؤرخ "رافائيل كاراسكو" ؛ الَّذي أمدَّه بهذه النُّصوص المخطوطة(3).

أقول: وهذا فتح جديد في الدِّراسات الأدبيَّة الموريسكية؛ للعثور على نصوص كُتِبت باللغة العربيَّة، ووضَّحت لنا صورة المجتمع الموريسكي أبَّان مرحلة إنشاء هذين النَّصَّين، الَّتي كانت في حدود عام 1580 - 1590م، وهي السَّنوات الحرجة، والأكثر ظُلماً ووحشية في حياة الموريسكيين الَّتي خطَّطت لقطع الموريسكيين عن امتدادهم الحضاري الإسلامي، وفضائهم الأندلسي.

لم يكن الموريسكي يقاتل على جبهة "ديوان محاكم التَّفتيش" فقط، بل كانت هناك جبهات متعددة، وقنوات سُلِّطت عليه، وعلى أفراد أُسرته، وعلى عموم المجتمع الموريسكي ففي الطَّريق تُراقِبه العيون المبثوثة، وتحسب له سكناته في كلِّ مكان، وإنَّ (ما قام به الكاردينال "سنيروس" الَّذي ارتكب أفظع الجرائم ففي ناحية جبال "البوشرات" قام أحد معاوني هذا القس المجرم، وهو "الكوندي دي ليريا" بتحطيم مسجد على مَنْ بداخله! وقام بذبح الرِّجال، وبيع النِّساء والأطفال كرقيق)(4)، بل إنَّ نسبة كبيرة من مجتمع النَّصارى قد وُظِّفَ في مضمار مُراقبة الموريسكيين من موقع الوشاية، وحساب حركاتهم، ومراقبة سكناتهم، أضف إلى ذلك "الجيران"، الَّذي فتك هو الآخر بـ"الهوية الموريسكيَّة"، وقد تفنَّن النَّصارى للإيقاع بالموريسكيين بألوان من الوشايات، وذهب ضحية ذلك خلقٌ كثير!

يذكر لنا "محمَّد قشتيليو" ما أوصى به أحد إقطاعيي مدينة "المريَّة": (في عام 1564م، أوصى احد نصارى المريَّة، وكان من أكبر ملَّاكي الأراضي بالمدينة، ألَّا

يتزوج من سُلالة أحد من نصرانيَّة جديدة، أو موريسكي أحد من نصرانية جديدة، أو موريسكيَّة، أو يهوديَّة؛ وذلك بغاية المحافظة على عراقة أصله بحسب منظوره)!(5)(6)

لقد حاول الأديب الموريسكي "شاعراً كان أو ناثراً" من تدوين ما استطاع تدوينه متخطياً في قسم من كلماته الأُصُول الصَّحيحة لقواعد الكتابة في اللغة العربيَّة! فهو بين مفترق طُرق، منها:

ـ لا بُدَّ للموريسكي من إثبات هويته الحضاريَّة، وامتداده الإنساني ـ في الدِّين واللُّغة العربيَّة والتُّراث . . . الخ .

ـ إنَّ الأخطاء اللُّغوية والنَّحويَّة والأُسلوبيَّة والإملائية، لدى الأديب الموريسكي لم تكن لتقدح بأصل الموضوع أو بمضمونه! بقدر ما يُشكِّل إنجازاً لنصٍّ في ظرف تسوده رائحة الموت الأحمر بكلِّ أشكاله من تعذيب، وتغييب، وطرد، وإعدام بأشكاله المتنوعة، والمُروعة الَّتي لم تخطر على قلب شيطان مارد!

وعليه فـ "المُنْجز النَّصِّي" الَّذي يُنْجِزهُ الاديب الموريسكي يعدَّه نصراً ما بعده من نصر؛ لأنَّه سيكون سبباً في:

ـ زيادة التصاقِهِ بأرضه.

ـ وثباته في الفضاء الأندلسي.

ـ وإعْلان في أحقيته في العيش على أرض آبائه وأجداده.

لقد شكَّل كُلَّ "نَصٍّ موريسكي"، صرخة مُدَوية في الضَّمير الإنساني ما زال صداه يتردد في سطور الكُتَّاب والمُحققين لمخطوطاتهم الَّتي وصلت إلينا بـ"لغة الألخميادو"، وكذا الحال لمترجميها، إذ لن تهدأ تلك الصَّرخة ـ في أقلِّ تقدير ـ من تقديم الاعتذار للموريسكيين من قِبل السُّلطات الأسبانية للَّذين سحقتهم آلة الحقد والتَّعصُّب الدِّيني والعِرْقي، والإقصاء للإثنيَّة الأُخرى، وعدم مقبوليتها من طرف النَّصارى مع أنَّها عاشت معه لقرون خلت على التُّراب الأندلسي نفسه الَّذي يُعذَّب عليه "الموريسكي" و "السَّفارديم"(7)، وهي تسمية اليهود في أسبانيا بعد تسليم مملكة غرناطة، والاعتذار من مسلمي الأندلس ليس سواء بسواء كما فعلت تلك السُّلطات مع اليهود "السَّفارديم"؛ لأنَّ وضع المسلمين ـ من العرب والأمَّازيغ ـ يختلف جذرياً مع اليهود ـ؛ إذ أنَّ المسلمين هم الفاتحون ، زدْ على ذلك هم ـ أي المسلمين ـ مَنْ جعل لأسبانيا موقعاً وشأناً بين دول أوربا، ومن ثَمّ دول العالم مِنْ النَّاحية الحضاريَّة والآثريَّة، وأنَّ السِّياحة اليوم في أسبانيا تدرُّ عليها الأموال الطَّائلة

طيلة أيام السَّنة، ثُمَّ مَنْ يعرف إسبانيا اليوم، لو لم يدخلها المسلمون؟ أهكذا يُجازى المسلمون؟!

فما الَّذي حصل بين ليلة وضحاها، إذ لم يفصل بين المسلمين والنصارى غير توقيع معاهدة تسليم غرناطة! فلماذا التَّقتيل والفتك والتَّغييب، في الأمس كانوا إخوانا مُتحابّين، وبعد معاهدة التَّسليم صار لا يُنظر إلى المسلمين إلَّا النَّظرة الدُّونية!

وأنَّ النَّظرة الإنسانية للبشر بعضهم لبعض، هو ملخص التَّفكير الإنساني ورُقِي العقل البشري في النَّظر للأخر بعيداً عن الإثنيات العرقية والدِّينيَّة، وما سواها من اللون والمكان؛ فلماذا الإقصاء والطَّرد والتَّقتيل، وكلّ البشر قد صدر من نبع واحد لا ثاني له، وتلك حكمة ربانيَّة في منتهى الرُّقي في الفضاء الإنساني.

أسأل الله تعالى أنْ يُسدد خُطانا، إنَّه نِعم المولى ونِعم النَّصير.

المبحث الأوَّل :

مقاربة تاريخية للنَّثر الموريسكي

حين قدَّمتُ بحثي "النَّثر الموريسكي، الأُصول والموضوعات، نماذج مختارة"(8)، قد توافرتُ في حينها على نِتاج نَّثري موريسكي، يُعتدُّ به كمّاً ونوعاً، وكانت أوَّلُ دراسة أكاديمية(9) تُخْضِعُ نصوصاً موريسكية للدَّرس والتحليل، علماً أنَّ هذين النَّصَّين لم يكونا ضمن ذلك البحث، وقد اكتشفتُ هذين النَّصين في أثناء رحلتي "التُّونسيّة الأولى" في صيف عام 2017م، لمَّا اقتنيتُ فُرادى من مصادر ذلك الأدب من مؤسسة العلَّامة د.عبد الجليل التَّميمي عميد الدِّراسات الأندلسية والموريسكيَّة في العالم.

وسأكتفي بعرض قسم من عنوانات تلك النماذج(10)، النَّثريَّة الموريسكيَّة الَّتي أجريتُ عليها الدِّراسة في بحثي السَّالف الذِّكر:

1- حديث موسى "عليه السّلام" مع يعقوب الجزّار Alhadiz de Musa con Jacob elcarnicero.) (11)

2 ـ قصّة الهالك لعدم ثقته في الله "تعالى El Condenado por desconfiado" للكاتب الإسباني تيرسو دي مولينا، ففي أثناء قراءة "بالنثيا" لهذه القصص وجد تشابهاً بينها وبين حديث موسى "عليه السّلام" مع يعقوب الجزَّار(12).

3 ـ حديث الجمجمة الّتي مرَّ بها عيسى "عليه السّلام" Alhadit de la calaebera que (13).

4 ـ حديث قصر الذَّهب وقصّة الثُّعبان alcazar de oro laestoria de la Alhadiz DEL culebra (14).

5 ـ في سيرة عليٍّ بن أبي طالب، يذكر الدُّكتور جمال عبد الرّحمن، حين عرض مخطوطتين، الأولى رقم (5120) الموجودة في المكتبة الوطنية بمدريد(15)، والَّتي قدَّم لها الدّكتور "الباروغالميس دى فوينتيس" بكلمة عن الإمام "علي بن أبي طالب" "عليه السَّلام" استناداً إلى المخطوط السّالف الذِّكر، فيقول:

(كانت شجاعته منقطعة النَّظير حتّى أنّه "وهو يمتطي جواده كان يساوي ألفين من الفرسان"، وكانت قوته خارقة، فكان يُقسم الفارس وحصانه إلى نصفين بضربة واحدة، ...، ...، ...، وفي بعض الأحيان كان عليٌّ يَكِرُّ بمفرده على جيش كامل، ويفعل به ما تفعل النّار في الهشيم!)(16)

أمّا في المخطوط ذي الرقم (9654) الموجود في مكتبة إسبانيا الوطنية، فقد أطّلع عليه د. جمال عبد الرّحمن، ووافانا بما نصّه:

(وأعقبه (في الخلافة) سيدنا علي بن أبي طالب "رضي الله عنه"، زوج السَّيِّدة فاطمة رضي الله عنها، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، كان أشجع مَنْ عُرِفَ مِن المحاربين، فقد كان يظهر في أية موقعة فحتَّى لو كان غائباً في مكان بعيد كان الله يُرْسله، وكان يظهر بين النّاس، وحقق النّصر في كلِّ المعارك، وهو الّذي يظنُّ المسيحيون أنّه سانتياغو وهم مخطئون)(17).

6 ـ حديث عليٍّ مع الأربعين فتاة Alhadiz de Ali con las cuarnenta doncellas وصف "بالنثيا" الرِّوايات الَّتي روت حياة نبينا الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" بالأساطير!(18)

7ـ حكاية مدينة النُّحاس والقماقم . La Estoria de la ciudad de Alationy de los alcancamos.(19)

8ـ حديث سليمان عندما عاقبه الله بتجريده من عِزِّه فمضى يضرب في الأرض أربعين يوماً شحَّاذاً يتكفَّفُ الناس . Recontamiento de Sulaiman cuando lo reprobo Allah en quitarle la onnray and cuarenta dias como pobre demandando limosna. (20)

وجاء في كتاب "ملحمة المغازي الموريسكيَّة" لـ"البارو غالميس دي فوينتس"، وقد ضمّت "تسعة معارك خاض غمارها الرَّسول الأكرم "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، مع المسلمين ضدَّ الكُفَّار، وقد تغنَّت مُتون هذه القَصص بأمجاد الفروسية الإسلامية الَّتي تُعدُّ من أوسع الأعمال الموريسكية الَّتي تُرْجمت في بابها حتَّى الآن، وقد توزعت عنوانات هذه المعارك بين (معركة وحديث وحكاية) في الملحمة الَّتي ترجمها د. صلاح فضل، وأسماها بـ "ملحمة المغازي الموريسكية"، وهذه هي المعارك كما وردت في الملحمة:

1 ـ معركة الأصيد بن سلمى المخزومي، وأهل مكَّة.(21)

2 ـ حكاية الحارث ملك اليمن.(22)

3 ـ معركة خذيمة البارقيّة والأحوص بن مخاض.(23)

4 ـ حديث وراء الحُجُرات.(24)

5 ـ معركة بدر وحُنين.(25)

6 ـ معركة المهلهل بن الفياض.(26)

7 ـ معركة الأشيب بن حنقر.(27):

8ـ حديث قصر الذَّهب وقصِّة الثُّعبان مع عليٍّ بن أبي طالب.(28)

9 ـ قصَّة عليٍّ والصَّبايا الأربعين.(29)

هوامش المقدِّمة والمبحث الأوَّل ومصادرهما

(1) هنالك أكثر من تسمية كانت تُطْلق عليهم، و(تبعاً للمصطلح الجاهز في مملكة بلنسية "Valenice" فإنَّ المنحدر من السُّكَّان المحليين يُطلق عليه : المسلم المُرتد أو المُعْتَنِق الجديد أو الموريسكي .... أو المسيحيين الجُدد"(هـ: ينظر، محاولة استلاب ثقافي للغرناطيين المعتقلين في مرسية وممتلكاتها قرارات الأسقف أ.قونزالز قاياقو، وتعليمات المجمع الدِّيني القرطاجنِّي في 1571م،بحث للد. خوان باتيستا فيلار، وهو بحث قُدِّم للمؤتمر الثَّالث عشر للدِّراسات الموريسكية ـ الأندلسيَّة، الَّذي عُقِدِ عام 2009م، تحت شعار: الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو، وسياسة محاكم التَّفتيش اتجاه الموريسكيين، إشراف وتقديم أ.د عبد الجليل التَّميمي، منشورات مؤسسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ط1، تونس، 2009م، وقد سمَّاهم د.عادل سعيد بشتاوي بـ(الأندلسيون المواركة)، مط انترنشيونال برس، القاهرة، مصر، 1403هـ - 1983م، وسمَّاهم محمَّد قشتيليو في كتابه (حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، محمد قشتيليو، ط1، مط الشَّويخ، تطوان ، المغرب، 1422هـ - 2001م، ومنهم مّنْ جعل مصطلح الموريسكي لصيقاً لمصطلح الأندلسي، كما في أُطْروحة الدكتوراه الَّتي قدَّمها الباحث الفرنسي "لوي كارديك" قدَّمها الباحث الفرنسي "لوي كارديك" إلى جامعة "تولوز" في فرنسا للحصول على دكتوراه دولة، وكانت بعنوان "الموريسكيون الأندلسيون والمسيحون، المجابهة الجدليَّة 1492-1640م، تعريب د.عبد الجليل التَّميمي، ط1، المجلَّة التَّاريخية المغاربيَّة، تونس، وديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م.)

(2) تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس، والمواقف الإنسانيَّة والعربيَّة الإسلاميَّة منها، د.عبد الجليل التَّميمي، منشورات مؤسَّسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ومنشورات مركز الدِّراسات والتَّرجمة الموريسكيَّة، ط1، المغاربيَّة للطباعة والإشهار، تونس، 2011م: ص71)،

(3) تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس: الصَّفحة نفسها، هـامش 2.

(4) حياة الموريسكيين الأخيرة في إسبانيا وخارجها، ط1، مط الشِّويخ، تطوان، 1422هـ - 2001م: ص5.

(5) حياة الموريسكيين الأخيرة في إسبانيا وخارجها، ط1، مط الشِّويخ، تطوان، 1422هـ - 2001م: ص7.

(6) يكفي أنْ نطَّلع في الشَّابكة العنكبوتية على "اليو تيوب"، لِنُشاهد أشكالاً من الأدوات الَّتي استُعْمِلت في تعذيب الموريسكيين الَّتي تقشعِرُّ لها الأبدان، إذ لم تكن لِتخطر على قلب بشر! وسيبقى ذلك التاريخ الأسود للمحفل الكنسي الإسباني ولرجاله، الَّتي كانت بمباركة البابا وحُكَّام التَّاج الإسباني وصمة عار لا تُمْحى من ذاكرة الإنسانية!

(7) قاموس عِبْري - عربي للّغة العِبْريَّة المعاصرة، تأليف: دافيد سجيف، دار شوكن للنشر، أُرشليم وتلّ أبيب، 1990م: مج 2/ ص 1272، والسفارديم: (على طريقة يهود إسبانيا، على طريقة اليهود السفارَاديم، على الطَّريقة الشَّرقيَّة على النَّهج الشَّرقيّ: 1- إسباني، 2- أندلسيّ، 3- يهودي، 4- يهودي سفرادي، 5- يهودي شرقيّ)

(8) المنشور في مجلَّة كلية التَّربيَّة / الجامعة المستنصريَّة / ع6/ مج2 / 2016م.

(9) في حدود ما اطَّلعتُ عليه من دراسات، وأثبتُّ ذلك في أثناء زيارتي لتونس مرتين في صيف عام 2017م، ولقائي بعدد كبير من الباحثين، ومن العالمين العربي والغربي.

(10) ومن رغب في الاستزادة فليراجع البحث المُشار إليه في الهامش رقم (7)، وليراجع "البروفايل الأكاديمي" الشخصي على موقع الجامعة المستنصرية / كلية الآداب /قسم اللغة العربيَّة فسيجد البحث كاملاً.

(11) تاريخ الفكر الأندلسي: ص587، العبارة المحصورة بين قوسين بهذه الصورة "عليه السَّلام"، هي من وضع الباحث؛ نظراً لما تشكّله هذه الأسماء من قداسة لدى جميع المسلمين، فضلاً عن اليهود.

(12) المصدر السَّابق: والصَّفحة نفسها.

(13) المصدر السَّابق: الصَّفحة نفسها.

(14) المصدر السَّابق: الصَّفحة نفسها.

(15) دراسات أندلسية وموريسكية: ص 50 - 59، تأليف: نخبة من أبرز المتخصصين، تر، وتقديم، د. جمال عبد الرَّحمن، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2008م.

(16) المصدر السَّابق: ص112.

(17) المصدر السَّابق : الصَّفحة نفسها.

(18) تاريخ الفكر الأندلسي: ص 587، صحيح أنَّ الأساطير قد دخلت في متون السِّيرة النبوية الشَّريفة؛ بفعل الإسرائيليات، أو الوضَّاعين، أو من جهلة النُّسَّاخ، لكن لا يجوز أنْ نُعمم على السِّيرة الشَّريفة، ومتونها بلفظة الأساطير، وسأردُّ على مثل تلك التجاوزات على المقدَّس في حياتنا الإسلامية في بحث مستقل إن شاء الله تعالى.

(19) تاريخ الفكر الأندلسي: ص 588.

(20) المصدر السَّابق: ص 589.

(21) ملحمة المغازي الموريسكية: ص 168.

(22) المصدر السَّابق: 179.

(23) المصدر السَّابق: 201.

(24) المصدر السَّابق 207.

(25) المصدر السَّابق: 221.

(26) المصدر السَّابق: 237.

(27) المصدر السَّابق: 276.

(28) المصدر السَّابق:277.

(29) المصدر السَّابق: 293.

المبحث الثَّاني :

النَّصُّ الأوَّل : تصحيحه وتحليله .

الوثيقة رقم (4)

فضل في وداع شهر رمضان (1)(2)

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

رُويَ عن رسول الله "صلَّى الله عليه وسلَّم" أنَّه دخل على بنته فاطمة "رضي الله عنها"، وهي (3) تبكي، وعليّ (4) رضي الله عنه، يُسْكتها، فقال "صلَّى الله عليه وسلَّم" : لِمَ (5) تبكين يا فاطمة ؟

فقالت فاطمة(6) : لَمِن شيء يا رسول الله.

وقال رسول الله "صلَّى الله عليه وسلَّم" :وهل يبكي أحدٌ من غير شيء، أو يحزن من غير شيء .

ثُمَّ قال "صلَّى الله عليه وسلَّم" : ما نشأ في دنيا (*) مثل فاطمة .

ثُمَّ قالت فاطمة "رضي الله عنها"(7): وكيف (8) لا أبكي(9)؛ وقد حُرِمْتُ "صلاة الوداع من رمضان".

ثُمَّ قالت فاطمة "رضي الله عنها"(10): لو هلَّلتُ وكبَّرتُ وسبَّحتُ أيكون لي ثوابها ؟

فقال "صلَّى الله عليه وسلَّم" : لو هلَّلْتِ وكبَّرْتِ وسبَّحْتِ عمرك كُلَّهُ ما بلغ تلك الرَّكعتين من ليلة الوداع !

فقالت : لو تصدَّقتِ بصدقات، أيكون لي ثوابها ؟

فقال "صلَّى الله عليه وسلَّم": لو تصدَّقتِ بوزن جبل أُحدٍ ذهباً(11) ، ما بلغ ثوابها فهي أفضل في المِيزان(12) من جبل أُحدٍ ثواباً .

فقال عليّ(13)"رضي الله عنه": يا رسول الله كيفَ أُصَلِّي(14)الرَّكعتين

فقال "صلَّى الله عليه وسلَّم": يا عليّ(15) طهِّر بيتك وثيابك، وحضِّر ما عندك من الطِّيب، ثُمَّ قُمْ إلى محرابك، وقُلْ :

سُبحان الله عَشْرَ مراتٍ، وصلِّ على جبريل(16)، وميكال(17) واسرافيل، وعلى حملة(18) العرش، وعلى(19) آدم، وعلى جميع الأنبيا(20)، لكُلِّ واحد منهم عَشْرَ مراتٍ، وتقول :

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم ، عَشْرَ مرات، وادخل في الصَّلاة إنْ شئت أول الليل(21)، أو آخره، وآخره أفضل من أوله، واقرأ(22) الحمد لله ، وقلْ يا أيُّها(23) الكافرون، وإذا جاء نصر الله والفتح، وقُلْ هو الله أحدْ، وقل أعوذ بربِّ الفلق، وقُلْ أعوذ بربِّ النَّاس، وكلّ واحدة سبع مراتٍ في كُلِّ ركعة، وتتشهَّد، وتُسلِّم، وبعد السَّلام تسجدُ سجدةً طويلةً تقول في سجودك :

بسم الله الرَّحمان(24) الرَّحيم

سجد لك وجّهي وخضعت لك رقبتي، اللَّهم تقبَّل صومي، وارحم ضَعفي، اللَّهم لك صُمت، وبرزقك أفطرت، وعليك السَّلام يا شهر رمضان ما(25) كان أعظم بركتك، كنتَ حصْناً مانعاً(26)، وحرزاً(27) لِمَنْ تلا(28) فيك القرآن، وعَبَدَ فيكَ الرَّحمان، فعليكَ السَّلام يا شهر رمضان، ما كان أعظمُ بركتكَ، وأكثر خيراتك، فكم من صائمٍ لا يصُومَك(29)، وكم قائمٍ لا يقوم فيكَ أبداً، رضي الله عنك، وعنَّا، وعلى جميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصلِّ(30) على سيدنا محمَّد سيد الأكوان، وحبيبنا(31)، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً(32) إلى يوم الدِّين.)(33)

الوثيقة رقم "4" الَّتي يدور متنها في "أدب الدُّعاء"، وأنَّ مُنْشِئها نظر إلى المساحة الدِّينيَّة نظرة شموليَّة؛ ليُدلل على أنَّ فضاء الدِّين الإسلامي يستوعب كُلَّ ما ذكره "سبحانه وتعالى" في مضمون كتابه الكريم "القرآن المجيد".

لقد أدرك الموريسكيون ما لـ"شهر رمضان المبارك" من مكانة عند الله "عزَّ وجلَّ"، وما ادَّخره لعباده الصَّائمين الَّذين التزموا بشرائط الصَّوم من قيام وتهجَّد، والامتثال له "سبحانه وتعالى" ظاهراً وباطناً؛ ولذا انتهز الموريسكيون عطايا الله "سبحانه وتعالى" وهداياه، الَّتي لا يعلم مقدارها ولا حجمها إلَّا هو "جلَّ شأنه"! كما جاء في الحديث القُدسي (كل عمل ابن آدم له إلَّا الصِّيام فانَّه لي وأنا أجزي به)(34).

من هذا المنطلق كتب رجال الدِّين من الموريسكيين جملة وافرة من "الأدعية"، وهم في ظرف عصيب من حيث الموانع القهرية الَّتي وضعتها أمامهم السُّلَط الأسبانية، وديوان محاكم التَّفتيش؛ للحيلولة دون الاتصال بأهليهم، وأبناء جلدتهم في الدِّين سواء في الفضاء الأندلسي، أو بالعبور إلى عُدْوة المغرب في الشَّمال الأفريقي! ولنا أن نتصور ونتأمَّل في مضامين هذه "الأدعية"، وحظَّها من الصَّواب في الكتابة! ولو تأمَّلنا وأنعمنا النظر في الظُّروف الَّتي أحاطت بالموريسكيين، وحتَّى المُدجَّنين؛ لحقَّ لنا أنْ نتلمَّس لهم الأعذار من جهة ، ومن أُخرى لأدركنا مدى حرصهم، وغِيرتهم على بيضة الإسلام، لذا بذلوا في سبيل ذلك كُلَّ غالٍ ونفيس، وفي ظِلِّ هذه الظُّروف نُدْرِكُ أيضاً الضَّعف الَّذي مرَّت به اللُّغة العربيَّة؛ بسبب انقطاعها عن أُصولها في فضاء عُدْوة المغرب العربي الإسلامي؛ فنرى جملة من الأخطاء الإملائية والأُسلوبية والنَّحوية قد اعترت النص رقم "4" ورقم "5" كذلك، وهذه الهفوات لا تُشكِّل عيباً في عموم النَّصِّ، بقدر ما نفتخر بوصول هكذا ثروة كانت حربةً في الواقع النَّصراني الَّذي رفض الآخر المسلم بكل معطياته في بناء الفضاء الأندلسي سابقاً، والإسباني لاحقاً .

أمَّا الشخصيات الَّتي تمثَّل بها هذا الدُّعاء، فقد تمثَّلت بأرقى الشَّخصيات الإسلامية، وأفضلها على الإطلاق، إذ لا يوجد شبيه لها على طول تاريخ الإسلام، وعلى وجه البسيطة، فالنَّبي محمَّد "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، وهو خير البشر وخاتم الأنبياء وقدوتهم، وأمَّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السَّلام"، فلا ثاني له بعد رسول الله "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، وهو غني عن التَّعريف والإيضاح، وسيدتنا فاطمة الزَّهراء، وما أدْراك ما فاطمة، يكفي بها فخراً، قول أبيها نبينا الأكرم "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم" في حقها: **(فاطمة بَضعة منِّي، يُريبُني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها)(35)، وأورده البخاري، بلفظ مشابهٍ:(فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني) (36)" صدق رسول الله" "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم".**

ووفقاً لهذا أدرك الموريسكيون مكانة النَّبي الأكرم "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، وعليٍّ وفاطمة "عليهما السَّلام"، فجاء حديثهم في فضل وداع "شهر رمضان المبارك"، يضمُّ هذه الشَّخصيات المباركة الثَّلاث.

ونتيجة الضَّعف الَّذي اعترى اللُّغة العربيَّة بعد تسليم غرناطة "897هـ - 1492م"، فقد اعترت النَّصَّين بعض الأخطاء "الإملائية والنَّحوية والأُسلُوبية" كما قلنا(هـ: لقد أورد العلَّامة د.عبد الجليل التَّميمي جملة من هذه الأخطاء)، وقد زدتُ عليها ما تطَّلبه النَّصَّ منِّي "وهذه نماذج من الأخطاء وليس كلَّها":

ـ صلّى ..... صلِّ .

ـ وهيا ..... هي .

ـ وعلِ ..... وعلى .

ـ لمن ..... لا من .

ـ ذهبً ..... ذهباً .

ـ علِ ..... علي .

ـ ومكايل ..... وميكائيل .

ـ الانبيا ..... الأنبياء، صحيح وليست خطأً، وإنما لغة في القصر.

ـ كثراً ..... كثيراً.

أقول: إنَّ حركة الوقوع بالخطأ في عموم فروع اللُّغة العربيَّة، هو أمرٌ طبيعي، فليس الجميع على مستوى واحد من الوعي بأهمية تصويب الألفاظ حين استعمالها، ونتيجة الاستعمال الكثير لمفردات العربيَّة غير الخاضع لحركة التَّصويب والتَّصحيح، ومِنْ قِبل جميع شرائح المجتمع كما نشهده اليوم من شيوع كثير من الأخطاء سواء في وسائل الإعلام، وحتّى في الوسط الجامعي! فما بالنا بوضع الموريسكيين فمن المتوقع أنْ يحصل الخطأ، ومثلما يحصل الخطأ، فهناك العيون الَّتي تقرأ، وتفحص وتُدقِّق، وهذه العمليَّة بحدِّ ذاتها دليلٌ على حيوية اللغُّة العربيَّة، وحرص النَّاطقين بها على ديمومة حركة التَّصويب، ومتابعته، واليوم نحن في الوسط الأكاديمي، وفي إنجاز رسائل الماجستير، وأطاريح الدُّكتوراه، نلاحظ ما يقع به السَّواد الأعظم من الباحثين في كمٍّ كبير من الأخطاء بكل أشكالها، فهل تقدح تلك الأخطاء بعموم هذه الرِّسائل أو بعموم تلك الأطاريح؟! ونحن نعيش في دُولٍ لسانها ينطق بالعربيَّة، وكل تعاملاتها وحركتها في المجتمع يتمُّ في سياق اللُّغة العربيَّة، ويحصل هذا الخطأ! فكيف بمجتمع كان مراقباً على حركاته ولغته، ومعتقداته ووو، مثل المجتمع الموريسكي.

ومما عملته في هذه الوثيقة من عمل علمي تجلَّى في:

ـ صحَّحتُ عنوان الوثيقة "الدُّعاء".

ـ أدغمتُ الحروف الَّتي تحتاج إلى إدغام في النَّصِّ، مع وجود بعضٍ منها مُدْغماً في النَّصِّ المحقَّق.

ـ ضبطتُ الحروف المطلوب ضبطها؛ لئلا يقع القارئ في الخطأ، مع وجود بعضٍ منها في النَّصِّ المحقَّق.

ـ أدغمتُ الكلمات التي تبدأ بحرف شمسي.

ـ أدخلتُ علامات التَّرقيم في النَّصِّ، مع وجود قِلَّةٍ منها في الأصل المحقَّق.

ـ صححتُ الكلمات الَّتي كُتِبت خطأً، سواء من حيث الإملاء أو النحو، مع وجود بعض منها قد صححتها قبلي براعة العلَّامة د.عبد الجليل التَّميمي.

هوامش المبحث الثَّاني

(1) الصُّورة الأدبيَّة للموريسكيين وكتاباتهم ولغتهم في القرن 16، أعمال المؤتمر العالمي الثَّاني عشر للدراسات الموريسكيَّة ـ الأندلُسيَّة، منشورات مؤسَّسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ماي/آيار/2007م، إشراف وتقديم الأستاذ المتميز الدُّكتور عبد الجليل التميمي : الوثيقة رقم (4) ص 33-43، ونُشِر هذا الدُّعاء أيضاً في كتاب: الأبعاد العقائدية والفكريَّة في الأدب الألخمياردو، وسياسة محاكم التَّفتيش اتجاه الموريسكيين، إشراف وتقديم د.عبد الجليل التَّميمي ، قدم له أيضاً د.لوث لوباث بارلت، منشورات مؤسَّسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ط1، المطبعة المغربيَّة للطباعة، تونس، ماي/ آيار 2009م: ص 51-52، ونُشِر أيضاً في كتاب: تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس، والمواقف الإنسانيَّة والعربيَّة الإسلاميَّة منها، د.عبد الجليل التَّميمي، منشورات مؤسَّسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ومنشورات مركز الدِّراسات والتَّرجمة الموريسكيَّة، ط1، المغاربيَّة للطباعة والإشهار، تونس، 2011م.

(2) العنوان في الأصل هو: "فضل في وداع شهر رمضان"، القراءة الأولى للعنوان تبدو فيه ركَّة، لكنَّها صحيحة!

(3) في الأصل: هيا.

(4) في الأصل: علِ.

(5) في الأصل: لِما.

(6) في الأصل: فقال تا. (*) الأصوب : الدُّنيا.

(7) في الأصل: عنهَ.
(8) في الأصل: وكيفا.
(9) في الأصل. ألابكي.
(10) في الأصل: عنهَ.
(11) في الأصل: ذهبً.
(12) في الأصل: المِزان.
(13) في الأصل: علِ.
(14) في الأصل: اصلِّ.
(15) كلُّ اسم عليّ كُتِبَ: علِ، فلا يستوجب منِّي التَّكرار على ما سيأتي.
(16) في الأصل: جبريل، وهذا موافق للاستعمال الوارد في القرآن الكريم:(مَنْ كان عدواً للهِ وملائكتهِ ورُسُلِه وجبريل وميكال فإنه عدوٌ للكافرين)البقرة : 98.
(17) في الأصل: ومكايل، الصَّواب ما جاء في الشّاهد القرآني في الهامش السَّابق (17).
(18) في الأصل: وعل حمالت.
(19) في الأصل: كل عل بدون كسر اللَّام تعني حرف الجرّ على؛ لذا فسوف لن أُشير إليها بهامش.
(20) في الأصل: الأنبيا، وهي لغة قريش (لاتهمز) . التذكرة في القراءات الثمان لأبي الحسن بن غلبون الحلبي، تحقيق أيمن سويد، ص141-145:
(21) في الأصل: اليل.
(22) في الأصل: وأقرا.
(23) في الأصل: يأيها.
(24) في الأصل: الرَّحمان، لا أعلم سبباً في عدم كتابتها على وفق الرَّسم القرآني؛ لأنَّ كاتب المخطوطة حافظ في كثير من الألفاظ على رسمها القرآني، ورسم الرَّحمان بهذه الصُّورة صحيح لا غبار عليه.
(25) في الأصل: مل.
(26) في الأصل: منعً.
(27) في الأصل: حرزً.
(28) في الأصل: تلَ.
(29) في الأصل: لا يصُومُك.
(30) في الأصل: وصلَ.
(31) في الأصل: حبيب.
(32) في الأصل: كثراً.
(33) لقد اعتمدت النَّصَّ الوارد في كتاب "الأبعاد العقائديَّة والفكريَّة في الأدب الألخميادو، وسياسة محاكم التَّفتيش تجاه الموريسكيين: ص 51 - 25.
(34) صحيح البخاري: 226/2.
(35) صحيح مسلم: رقم الحديث4482.

(36) باب المناقب في مناقب قرابة رسول الله "صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، رقم الحديث 3437.

المبحث الثَّالث :

النَّصُّ الثَّاني : تصحيحه وتحليله(1) .

الوثيقة رقم (5) .

((بسم الله الرَّحمان الرَّحيم))

والحمد لله رَبِّ العالمين، رُويَ عن رسول الله "صلَّى الله عليه وسلَّم"، أنَّه قال:

تعلَّموا هذا الدُّعاء، وعلِّموه للصّالحين(2)، ولا تُعلِّموه للسُّفهاء، فو الَّذي بعثني بالحقِّ بشيراً ونذيراً ما دعا بهذا(3) الدُّعاء أحدٌ في سنةٍ أو في شهرٍ أو في زمانٍ، فإنَّ الله يُدْخله الجنَّة بغير حساب.

قلنا يا رسول الله: وإنْ سرق؟ قال: وإنْ سرق! قلنا يا رسول الله: وإنْ زنا؟ قال: وإنْ زنا! قال عليه السَّلام: والَّذي بعثني بالحقِّ بشيراً ونذيراً ما دعا به مَنْ أصابه الجوع والعطش، إلَّا أطعمه الله وسقاه، ولا دعا به مَنْ كان خائفاً(4)، إلَّا آمنه الله مِن خوفه أو عُرْياناً إلَّا أكساه الله، ولا دعا به رجل بِنِيَّةٍ خالصة على نهر يجري لوقف عن جريه! ولا دعا به على جبلٍ حال بينه وبين الطَّريق الَّذي يُريد، لانتقل من موضعهِ، وإنْ دعا به مظلومٌ، فرَّج الله عنه، وينظر الله إليه بعينه الَّتي لا تنام، ومَنْ كتبه وجعله بين أكْفانه، كان له شهيدٌ يوم القيامة، فإنَّه قد توفَّى عنه كُلَّ دَين، ولو كان عليه دَينٌ مثل جبل تُهامَةَ، إلَّا أدَّى(5) الله عنه، وهذا هو التَّهليل المبارك ـ نفعنا الله به، وجعلنا من أهل تهليل القرآن العظيم ـ :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وإلهُكُم إلهٌ واحد، لا إله إلَّا هو الرَّحمن(6)الرَّحيم، الله لا إله إلَّا هو الحيّ القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ له ما في السَّموات والأرض مَنْ ذا الَّذي يشفع عنده إلَّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خَلْفَهم ولا يحيطون بشيءٍ من عِلْمِه إلَّا بما شاء وَسِعَ كرسيه السَّماوات والأرض ولا يؤودُه حفظهما وهو العلي العظيم لا إكْراه في الدِّين قد تبيَّن الرُّشدُ من الغير فمن يكفر بالطاغوت ويؤمِنُ(7) بالله فقد استمسك ويؤمنْ بالعِروة(8) الوثقى لا انفصام لها والله سميعٌ عليمٌ الله ولي(9) الَّذين آمنوا يُخْرجَهم(10) من الظُّلُمات(11) إلى(12) النُّور والَّذين كفروا أولياؤهم الطَّاغوت يخرجونهم من النُّور إلى الظلمات أولئك أصحاب(13) النَّار هم فيها خالدون(البقرة: 255-256). ألم الله لا إله إلَّا هو الحي القيوم أنزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التَّوراة والإنجيل من قبل هدًى(14) للنَّاس وأنزل الفرقان إنّ الَّذين كفروا لهم عذابٌ شديدٌ والله عزيزٌ ذو انتقام إنّ الله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء هو الَّذي يُصَوركم في الأرحام(15) كيف يشاء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم (آل عمران: 1-6) شَهِدَ(16) الله أنّه لا إله إلّا هو العزيز الحكيم والملائكة وأُولُوا(17) العلم قائماً(18) (آل عمران:18) بالقسط لا إله إلَّا هو العزيز الحكيم(آل عمران:18) الله لا إله هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريبَ فيه ومن أصدقُ من الله حديثً (حديثاً)(النساء:87) ذلكم الله ربُّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء فاعبُدُوه وهو على كلّ شيء وكيل(الأنعام:102) اتبع(19) أُوحي(20) إليك من ربّك لا إله إلّا هو وأعرض عن المشْركين(الانعام:106) الَّذي له مُلك السَّماوات والأرض لا إله إلّا هو يُحيي ويُميت فآمنوا(21) بالله ورسوله(الأعراف: 158) وما أُمروا إلا ليعبُدُوا(22) إلهاً واحدً لا إله إلّا هو سبحانه(23) عمّا يُشركون (التوبة:31) فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم(التوبة:129) قال آمنتُ أنّه لا إله إلّا هو الَّذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فاعلموا إنّما أُنزل بعلم الله وأن لا إله إلَّا هو فهل أنتم مسلمون قُلْ هو ربّي لا إله إلَّا هو عليه توكلتُ وإليه متاب يُنزِل الملائكة بالرُّوح من أمره عل من يشارك من عباده أن أنذروا أنّه لا إله إلَّا هو فاتقون و إنْ تجهر بالقول فإنّه يعلم السّرَ وأخفى الله لا إله إلَّا هو له الأسماء الحُسنى وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى أنني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدوني وأقم الصّلاة لذكري إنَّ السّاعة آتية أكاد أُخفيها لتُجزا كلُّ نفس بما تسعا إنّما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسِع كلّ شيء علما، وما أرسلنا من قبلك من رسول إلَّا يوحى إليه أنّه لا إله إلَّا أنا فاعبدون وذا النُّون إذ ذهب مغاضباً(24) فظنّ أنْ لن نقدر عليه فنادى في الظُّلمات أن لا إله إلَّا أنت سُبْحانك إنّي كنتُ من

الظالمين فتعالى الله الملك الحقّ لا إله إلَّا هو ربُّ العرش العظيم الله الَّذي لا إله إلَّا هو ربّ العرش الكريم وهو الله الّذي لا إله إلّا هو له الحمدُ في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه تُرجعون ولا تدعُ مع الله إلهاً آخر لا إله إلَّا هو كلّ شيء هالك إلَّا وجهه له الحكم وإليه تُرجعون يا أُيُّها(25) النّاس اذكروا نعمة(26) الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السّماء والأرض لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون(27). إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون ذلكم الله ربُّكم له المُلك لا إله إلّا هو فأنّى تُصرفون غافر الذنب وقابل(28) التّوب شديد العقاب ذي الطّول لا إله إلا هو إليه المصير ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيء لا إله إلّا هو فأنّى تُؤفكون هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله ربّ العالمين ربّ السَّماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين لا إله إلّا هو يُحيي ويُميت ربُّكم وربُّ آبائكم الأوّلين اعلم أنّه لا إله إلّا هو واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلّبكم ومثواكم هو الله الذي لا إله إلَّا هو عالم الغيب والشهادة هو الرَّحمن(29) الرَّحيم هو الله الذي لا إله إلّا هو الملك القدّوس السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر سبحانه عمّا يُشركون هو الخالق البارئ(30) المصوّر له الأسماء الحُسنى يُسبّح له ما في السَّماوات و الأرض وهو العزيز الحكيم الله لا إله إلّا هو وعلى الله فليتوكّل المؤمنون ربِّ المشرق والمغرب لا إله إلَّا هو فاتخذُهُ وكيلاً) (تمت السّبعة وثلاثين آية من القرآن العزيز.)

تضمُّ الوثيقة رقم (5) جملة رائعة من الآيات القرآنيَّة ، وقد بلغت سبعاً وثلاثين آية مباركة، وبدأت كلَّ آية بـ"التَّهليل"؛ أي الَّتي بدأت بـ"لا إله إلَّا الله" لذا سمَّاها بـ(التَّهليل المبارك ـ نفعنا الله به، وجعلنا من أهل تهليل القرآن العظيم)، وتهليل القرآن العظيم هو ترديد "لا إله إلَّا الله" في بداية كلِّ مقطع قرآني اختاره مُنْشئ ذلك النَّصّ.

وتدور آيات التَّهليل في اطار الدُّعاء، والدُّعاء كما هو معلوم يشكِّلُ أجواءً روحانية بين العبد، وهو الدَّاعي، والمعبود هو الله "جلَّ شأنه"، حيث تبدأ أجواء المناجاة بتلك الآيات القرآنية المباركة، لشدِّ عزيمة الموريسكيين، وإعطائهم زخماً روحياً؛ لمواجهة وحشية ديوان محاكم التَّفتيش، ووسائل التَّعذيب الَّتي يندى لها جبين الإنسانية مدى الدُّهور.

إنَّ دراستي للنَّصِّ لم تكتمل بعدُ، إذ سأعمل على تحقيقه ثانية على المخطوط نفسه الّتي حقَّق العلّامة التَّميمي عليها، وتحتاج إلى دراسة واسعة في معرفة ناسخ هذه الوثيقة، هل هو مؤلّف الدُّعاء نفسه؟ أم ناسخ آخر تولَّى نسخ هذا الدُّعاء، وقد تحدّثتُ

بنفسي مع العلَّامة الدُّكتور عبد الجليل التَّميمي في تونس صيف عام 2017م، حين زرته في تونس العاصة، بصدد هذين الحديثين، وما يدور حولهما من آراء.

هوامش المبحث الثَّالث

(1) الصُّورة الأدبيَّة للموريسكيين وكتاباتهم ولغتهم في القرن 16، أعمال المؤتمر العالمي الثَّاني عشر للدراسات الموريسكيَّة ـ الأندلُسيَّة، منشورات مؤسَّسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ماي/آيار 2007 ، إشراف وتقديم الأستاذ المتميز الدُّكتور عبد الجليل التميمي : ص44 ـ 45، ونُشِر هذا الدُّعاء أيضاً في: الأبعاد العقائدية والفكريَّة في الأدب الألخميادو، وسياسة محاكم التَّفتيش اتجاه الموريسكيين، إشراف وتقديم د.عبد الجليل التَّميمي ، قدم له أيضاً د.لوث لوباث بارلت، منشورات مؤسَّسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ط1، المطبعة المغربيَّة للطباعة، تونس، ماي/آيار 2009: ص 52-54، ونُشِر أيضاً في: تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس، والمواقف الإنسانيَّة والعربيَّة الإسلاميَّة منها، د.عبد الجليل التَّميمي، منشورات مؤسَّسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ومنشورات مركز الدِّراسات والتَّرجمة الموريسكيَّة، ط1، المغاربيَّة للطباعة والإشهار، تونس، 2011: ص 87-89، ووجدتُ حديث التّهليل في جملة من المصادر القديمة، منها: جُنّة الأمان الواقيّة وجَنَّة الإيمان الباقيّة، المشتهر بـ"المصباح" للشيخ تقي الدِّين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد بن صالح العامليّ الكفعمي ت 900هـ "مختلف فيه"، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، لبنان، 1395هـ - 1975م: ص 288- 291، وكذلك في كتابه الآخر: البلد الأمين والدِّرع الحصين، قدَّم له وعلَّق عليه: علاء الدِّين الأعلمي، منشورات مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ - 2004م: ص583- 585، ووجدته أيضاً في: الجامع الصَّحيح المختصر، المشهور بـ: صحيح البخاري، محمَّد بن إسماعيل البخاري، حقَّقه وعلَّق عليه: د.مصطفى ديب البغا، النّاشر دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ - 1978م: ج2 / ص672، صحيح مسلم، مسلم ابن الحجّاج أبو الحسين النيسابوري، تح وتعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، النَّاشر دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، د ، ت: ج2 / ص 756، المجتنى من السُّنن، المشهور بـ"سُنَن

النَّسائيّ"، أحمد بن شُعيب أبو عبد الله النَّسائيّ، تح: عبد الفتّاح أبو غُدّة، والنُّسخة مذيلة بأحكام الألبانيّ، النَّاشر مكتبة المطبوعات الإسلاميّة، حلب، 1406هـ - 1986م: ج4 / ص 126.

(2) في الأصل: للصّلحين.
(3) في الأصل: بهاذا.
(4) في الأصل: خائفً.
(5) في الأصل: ادا.
(6) في الأصل: الرَّحمان.
(7) في الأصل: ويؤمنْ.
(8) في الأصل: ويؤمنْ.
(9) في الأصل: بالعُرْوة.
(10) في الأصل: وليبي.
(11) في الأصل: الظُّلُمت.
(12) في الأصل: إلا.
(13) في الأصل: اصحب.
(14) في الأصل: هدً.
(15) في الأصل: الأرْحمِ.
(16) في الأصل: شهدَ.
(17) في الأصل: وؤلوا.
(18) في الأصل: قائمً.
(19) في الأصل: التّبعُ.
(20) في الأصل: ما أُحيَ.
(21) في الأصل: فأمنُو.
(22) في الأصل: ليعبُدُ.
(23) في الأصل: سبحنه.
(24) في الأصل: مغ اضباً.
(25) في الأصل: يايُّها.
(26) في الأصل: نعمت.
(27) في الأصل: توفكون.
(28) في الأصل: قبل.
(29) في الأصل: الرَّحمان.
(30) في الأصل: البارء.

اعتمدتُ على النَّصِّ الموجود في كتاب: الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو، وسياسة محاكم التَّفتيش اتجاه الموريسكيين، إشراف وتقديم د. عبد الجليل التَّميمي، منشورات مؤسسة التَّميمي للبحث العلمي والمعلومات، ط1، تونس، 2009م: ص52 - 54 .

نتائج البحث :

انطوى البحث على حزمة من النَّتائج؛ لإدامة النَّظر فيها، والتَّأمُّل؛ من أجل مستقبل علمي وإنساني في الأروقة الأكاديمية العربيَّة والإسلامية، ومن أجل أنْ لا ننسى صفحة كاملة ومشرقة من تراثنا الأندلسي، وتراث ما بعد تسليم مملكة غرناطة 897 - 1018هـ/ 1492 - 1609م ، ألا وهو التُّراث الموريسكي، لأواخر مسلمي الأندلس! وعليه أُهيب بالمحافل الجامعية، والمؤسسات البحثية أنْ تضع ذلك التُّراث بين يدي الباحثين، بعد التَّوافر على مصادره الأصلية العربيَّة منها والإسبانية، والمصدر الأوَّل اللغة الأسبانية، ولابدَّ إذن من تعلُّم اللغة الإسبانية الحديثة، والإسبانية القديمة "لغة قشتالة" الَّتي تُعرف اليوم بـ"لغة الألخميادو"، وهي اللغة الَّتي كُتِب بها التُّراث الموريسكي عموماً، من خلال المخطوطات الموجودة اليوم في مكتبات إسبانيا، وقسم من دول العالم، والمصدر الثَّاني ينقسم على قسمين:

ـ الأوّل : النِّتاج البحثي الموجود في مؤسسة التَّميمي للبحث العلمي المعلومات، وهي مؤسسة رائدة في الدِّراسات الموريسكية في العالم، وتعقد سنوياً مؤتمراً دولياً وعلميا في تونس العاصمة، إذ بلغت حتَّى العام 2017م، ثمانية عشر مؤتمراً، والّذي كنت أحد حضَّاره، ونشرتْ ما زاد على الـ(200) كتاب متخصصٍ في الشَّأن الموريسكي أدباً وتأريخاً.

ـ الثَّاني : التراث المُترجم الَّذي ينتجه "المركز القومي للترجمة" والمجلس الأعلى للثقافة" في مصر، لقد تعهدت هاتان المؤسستان بترجمة أغلب التُّراث الَّذي يحققه الإسبان من مخطوطات موريسكية.

أرجو من الآن أنْ يُطرح هذا التُّراث في مفردات مناهج الدِّراسة الجامعية، وتعطى موضوعات بحث لطلبة الدِّراسات العليا "للماجستير والدُكتوراه".

إنَّ الغرب ينظر إلينا نظرة استصغار! ولا سيما إسبانيا ومؤسساتها، ونحن نهمل تراثنا الموريسكي، وهم قد أخذوه بالبحث والتحقيق، عدا ما تمَّ انجازه في الفقرتين السابقتين، وهو قليل بحق شعب قاتل أكثر من قرن من الزّمن؛ ليثبت على دينه، ويحافظ على لغته، وتراثه وهويته.

كاتب البحث أمضى سنوات من البحث حتى أنجز مشروعه في الأدب الموريسكي، وها هو العام الثَّالث وأنا أدرّس مادة "الأدب الموريسكي"، ضمن مفردات "الأدب الأندلسي" للمرحلة الثَّالثة في الدِّراسة الجامعية.

يشكِّل هذين الدعائين أهمية أدبية ودينية وتاريخية في تاريخ الأمَّة الموريسكيّة، وداخل فضاء المجتمع الموريسكي، وعلى التُّراب الإسباني.

فالأهمية الأدبية متأتية من كتابة الدعائين بخطٍ مغربيّ، وهذا وحده يمثل نصراً لـ(اللغة العربيَّة) في حقبة مراقبة الموريسكيين من قِبل السُّلطات الإسبانية، ورجالات محاكم التَّفتيش بالنَّار والحديد!

وإذا ما تمَّ العثور على وريقات مكتوبة باللغة العربيَّة تعدُّ جريمة يُعاقب عليها بالإعدام!

ووصول هذا النَّصّ باللغة العربيّة من تلك الحقبة السَّاخنة فهو الدَّليل على أنَّ اللغة العربيَّة مازالت تستعمل من قِبل الموريسكيين، ولو تحت مظلَّة التَّرقُّب والخوف !

أمَّا **الأهميَّة الدِّينيَّة** فمتأتية من تمسّك الموريسكيين بدينهم الإسلامي، وما يتعلَّق به من أوراد وأدعية، ما يعني الصِّراع الدَّائر بين الموريسكيين من جهة، ومحاكم التَّفتيش من جهة أخرى بصدد نزع الهوية الدِّينيّة بقوة السِّلاح والدم؛ من أجل كثلكة المجتمع الموريسكي المسلم.

والأهمية التاريخية، يؤرخ هذان الدعاءان صفحة من صفحات الصِّراع الاثني بين طبقات المجتمع الإسباني بعد تسليم غرناطة، وكيف تعاملت محاكم التّفتيش ، وبدعم من السُّلطة النّصرانيَّة لأبشع صور التَّطهير الإثني في التاريخ البشري! بين المسلمين والنَّصارى.